**المحاضرة السابعة**

**القاضي عياض**

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي اليحصُبيّ. تعود أصول أسرته إلى قبائل اليمن العربية القحطانية. هاجرت أسرته إلى الأندلس ثم انتقلت إلى فاس، فمدينة سبتة المغربية.

رحل عياض في طلب العلم إلى الأندلس والتقى كبار العلماء هناك، كما شد الرحال إلى المشرق، وعاد بعدها إلى سبتةَ ليصبح قِبلة الطلاب وطالبي المعرفة. تولى القضاءَ في سبتة عام 515 للهجرة، ثم في غرناطةَ بالأندلس.

### **القاضي عياض الناقد:**

عاصر القاضي عياض زمن الصنّعة البديعيّة، ولذلك نجده يقيس قيمة العلم الأدبيّ بما يشتمل عليه من صنعة، فقد كان يؤثر الزخرف بكل ألوانه، ويفضّل الأسلوب المسجوع على المرسل. كما تميز باهتمامه بالجانب اللغوي النحويّ، واعتماده على الأدوات البلاغيّة في تحليله من قبيل الجناس، والطباق، والمقابلة، والتقسيم، والتزام ما لا يلزم، والإيغال، والاستعارة، والكناية، والتّتميم، والتكرار، والمبالغة، والغلوّ، والتّلاؤم، والاتباع...

ولم يختلف القاضي عياض عن سابقيه من حيث العناية بإعجاز القرآن الكريم. يقول الدكتور عبد السلام شقور عن سمة النقد في عصر عياض: "إنّ عموم النّقّاد في العصر المرابطيّ دخلوا ميدان النقد والبلاغة من باب الدّراسات القرآنية، فقد كانت الكتب التي ألّفت على هامش إعجاز القرآن الكريم عمدتهم". ووجوه الإعجاز حسب الناقد هي:

1-حسن التأليف والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه.

2-صورة نظمه، والأسلوب الغريب المخالف لأسلوب العرب.

3-ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات.

4-ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة.

وبذلك يمثل نقده الاتجاه الديني بالوقوف عند الإعجاز القرآني وأوجهه البيانية؛ ويبدو هذا الاتجاه بصورة جليّة في كل من كتابيه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، و(بغية الرائد لما تضمّنه حديث أمّ زرع من الفوائد)...

كما يعتبر عياض " من كبار علماء الحديث"، ومن الراسخين "في مختلف العلوم كالنحو واللغة والأدب والتاريخ والتراجم وكلام العرب وأيّامهم وأنسابهم".

### **مفهوم القاضي عياض للعمليّة الإبداعيّة:**

عاصر القاضي عياضاً زمن الصنّعة البديعيّة، فكان يفضّل الأسلوب المسجوع على المرسل، ومن أمثلة ذلك قوله: "وممّا في كلام هذه المرأة من بديع البلاغة نوع سابع وهو التزام ما يلزم في سجعها. وبعضهم يجعله أحد أنواع الترصيع في قولها: (فيُرتقى /ويُنتقى) فالتزمت القاف والتاء في كلّ سجع قبل القافية، وهذا نوع زيادة في تحسين الكلام وتماثله، وإغراق في جودة تشابهه وتناسبه، ولهذا في الأسجاع والقوافي طلاوة وديباجة يشهد الطبع له، ويجده الذّوق، وعلّته المشابهة والمناسبة لا سيما عند المقاطع وفصل الكلام".

كما يلاحظ المتتبّع لكتابه شغفه بالصّور البيانيّة كالاستعارة والتشبيه، ولكن من غير تكلّف، حيث قال: "واخترع قوم من المتأخرين أنواعاً غريبة سمّوها تجنيس التركيب، وهو نوع متكلف من غير حدود البلاغة''.

ويلمح من يتتبع نقد عياض ميله للنقد التطبيقيّ كما في تحليله لحديث "أم زرع"، إذ يشرح الحديث شرحاً لغويّاً وبلاغيّاً ونقديّاً، كاشفا عمّا فيه من جزالة لفظ، وحلاوة بديع مع الاستشهاد الواضح ببيان بالقرآن الكريم.

**المصادر والمراجع:**

1ـ القاضي عياض: بغية الرائد فيما تضمنه حديث أم ّزرع من الفوائد، نشر وزارة الأوقاف المغربيّة ـ الرباط، 1975م.

2- عبد السلام شقور: القاضي عياض الأديب، دار الفكر المغربيّ- الدار البيضاء- ط1 ، 1983م.

3- محمد مرتاض: النقد الأدبيّ القديم في المغرب العربيّ - نشأته وتطوره - (دراسة وتطـبيق)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000.